

٣٠ - ملازمة خشية الله تعالى .
التحلي بجملة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى ، وحافظاً على
شعائر الإسلام ، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها ،
والأعلى الله بملك ومثلك وتملك ، متحلياً بالرحمة
والطهارة ، والسمت الصالح .

هذا هو الأدب الثالث الذي ذكره العلامة الشيخ بكر أبو زيد عليه رحمته الله
للطالب في نفسه بعد الإخلاص والاتباع وملازمة طريقة السلف
وقبلها معرفة أن العلم عبادة فيقول لك كن ملازماً لمشية الله تعالى
أدلة ما معنى الخشية في
الجواب : الخشية كما يقول الراجب الأصفهاني في مفردات الفراء ٢٣٥
" خوف يسويه تعظيمه وأكثراً ما يكون ذلك عن علم بما يحسن
منه ، ولذلك حُسن العلماء بها في قوله : يا أيها المؤمنون خشوا الله
عبادة العلماء ، وقال تعالى : هذه خشية الرحمن بالقياس
الذين يدعون رسالات الله ولا يخشونه ولا يحشون أحدًا إلا الله
فالخشية خوف يسويه تعظيمه وأكثراً ما يكون ذلك عن علم
تصريحه على العلامة الآية السابقة لأنه أعرف الناس بمرمهم أنهم أكثرهم
له خشية

وأما الخوف فهو : توقع مكروه ، عن أماره مكنونه أو معلومة
كما أن الرجاء هو : توقع محبوب عن أماره مكنونه أو معلومة
والخوف لقوله تعالى : يرجون رحمته ويخافون عذابه
والخوف من الله معناه تهرب الكف عن المعاصي وتحرى الطاعات .

فيرشدنا المؤلف إلى إجماع الظاهر والباطن بخوف الله تعالى بأن
تكتب عن المعاصي أو فعل وتحرى الطاعات مع إجماع القلب بتعظيم الله
تعالى في الخلوات وفي الخلوات سواء كنت في محضره أو عين
الناس أو كنت خالياً مع الإثمنت والحيالات مراقباً لقلبك
مطعماً لربك ، وأن تحافظ على شعائر الإسلام من فرائض ظاهرة
أو من ميوعة بفعلك وسلوكك داعياً الناس بالرجوع إليهما .

ودعا الشيخ رحمه الله تعالى بأن تكون كما كانه النبي صلى الله عليه وسلم قرأنا بحسب
 على الأرض فادركوا الناس تذكروا الله فتكون كرسول الله الذي جاءه
 رداءهم الناس تذكروا الله فتعلمنا بالرجولة فأنت على جماعة الصديقين
 فتذكروا عظم المصيبة الملقاة على كنفك
 والمسا هلاكة فتكون سبلاً لنا ومن الخلق وخير الناس من يألفون
 ويؤلفون ، وقد علم كذا بالسمت الصالح فبذلك هم سبأ أهل العلم
 في القديم والحديث وقد تقدم الكلام معنا فبين كانوا يهملونه ورسول
 الله صلى الله عليه وسلم لتعلموا من خلقه ودلائله

قال المؤلف رحمه الله : وملا ذلك ذلك خشية الله تعالى ، ولهذا قال
 الإمام أحمد رحمه الله تعالى : " أهل العلم خشية الله تعالى "

وفي إذا أردت تحقيق ما تقدم من فضائل وخشيت الله هي كرسول الله
 الموصل إلى ذلك قال الإمام أحمد : " أهل العلم ما بين علي العلم هو
 خشية الله ، ألا فلا أساس له فيميل بخاصته إلى البراءة والعبادة بالله ، أما أنه
 يميل به إلى الشهوات أو إلى الشبهات فيميل ويميل غيره "

قال رحمه الله : فالرؤم خشية الله في السر والعلن ، فإذن خير
 البرية هي وخشية الله تعالى ، وما يشاهد إلا عالم ، " إذا ن وخير
 البرية هو العالم ،

بما أشهدك إلى لزوم الخشية لك من خير الناس لأنه أشهد الله خشية هم
 العلماء فكل من كان بالله أعلم كان له أكثر له خشية فاءه الخشية فرع العلم
 وكان له طاعة أهل البيت وعن معصيته أبعد ، وكلامه من أكثر الناس
 استعداده للقاء الله وهذا دليل على فضيلة العلم فأدبه والحق إلى
 خشية ، وأهل خشية هم أهل كرامته كما قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا
 آمنوا بالله ولا تعبدوا ما دونه من شيء " فقولوا هم خير البرية ، اللهم اجعلنا منهم ،
 قال المؤلف رحمه الله : ولا يغيب عن بالك أن العالم لا يُدعى عالمًا إلا إذا
 كان عالمًا ، ولا يخل العالم بعلمه إلا إذا لم يمتد خشية الله

يعترف لنا المؤلف العالم متى يكون عالماً ربانياً ذلك عندما يعمل بعلوم
ولا يتوصل إلى هذه المراقبة وهي تصديق العلم بالعلل إلا بالرفقة
خشية الله وإلا ما الذي يجعل ذلك العالم يقوم بالليل في شدة الحر أو
تشفته بالنهار وإفراق الفرائض الحلول إلا خشية الله والذي أنظما
والسفر والبذل إلا خشية الله والذي جعل ينصب في الحظ والمراجعة
والعلم يا أخواني على الحقيقة هو العالم الرباني فهناك ثلاثة أنواع من
العلماء كما ذكره الشيخ العتيبي رحمه الله تعالى

عالم دولة
عالم أمة
عالم ملّة

① عالم دولة: ذلك الذي ما يريد السلطان والأمير والوزير فيجعله ديناً للناس.

② عالم أمة: ذلك الذي يظهر ما يهواه الناس فيميل معهم حيث مالوا.

③ عالم ملّة: ذلك الذي يظهر إلى الدليل فالحلول ما أحلّه الله والحرام ما حرّم الله ولا يبالي به بالسلطان ولا بالعامّة هذا يا أخواني هو العالم الرباني الذي فقده الأعلام عليه واعلموا أنه قد يكون عالماً بالحوادث الفقه أو الأصول أو الحديث ولكنه ليس سنياً يكون بعيد عن السنة.

فرق بين صاحب الحديث النبوي وبين صاحب السنة
فرق بين متسقين وبين راو للحديث وثقة في ذلك يا عالم الله
فالعالم تعرفه باتباعه للسنة وتحريره المسائل وأدبه ودله
ملازمه للخشية ربك وقد كانه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى الله عليه وآله
كأن يروى الرضا عن أبيه

وفي الحديث عند الطبراني في الأثر عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: من مورث ليلة أسرى بني بعلث الأعرابي أم جبريل طالعها البالي
من خشية الله تعالى

وهذا عمر قد حقرت الدموع خلم من أسودين في وجهه
وهذا الحسن البصري كان إذا بكى كأن النار لم تخلق إلا لأجله

قالت روضة عروب عبد العزيز : ما رأيت أحدا قط أشد قوفاً من ربك من عرف
كاف إذا صلى العشاء وعد في المسجد ثم يرفع يديه فلم يزل يكرر حتى تغلب
عيناه ، ثم يتنهد ، فلم يزل رافعاً يديه يكرر حتى تغلبه عيناه ..

قال المؤلف رحمه الله : وأسنده الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بسند فيه لطيفة
إسنادية برواية أبي تيسرة فقال : أخبرنا أبو العزج عبد الوهاب بن عبد العزيز
بن الطارح بن أحمد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن صفيان بن زيد
بن أكنس بن عبد الله التميمي عن جده قال
سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت
أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي
يقول : سمعت أبي يقول : سمعت علي بن أبي طالب يقول : هتف العلم
بالعمل ، خادماً أجاب والاهل .. اهـ
وهذا اللفظ ينحصر مروي عن صفيان الثوري رحمه الله تعالى .

استدل المؤلف أيضاً على رحمه الله الذي رواه الخطيب البغدادي وفيه لطيفة
في سنده حيث كل راوي يروي عن أبيه وهم تسعة وهذا يدل على مدى اعتناء
المحدثين بالرواية واستخراج ما فيها من لطائف
والأثر على رحمه الله عليه يبين لنا المقصود من صم العلم ألا وهو العمل فالعلم
إما يطلب للعمل وتؤخذ منه أن العمل سبيل بركة العلم وزيادته
وفره محقق ليركته ومرتضى لا زالت قال عز وجل عن أقوام .. فيما نقصهم
ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه
ونسوا حظاً مما ذكروا به ..

الذهني الترك وترك الهدية

قال المؤلف رحمه الله :

٢ - دوام المراقبة :

التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن ، سائراً إلى ربك
بين الخوف والرجاء ، فأنجز للمسلم كما وجبنا حين اللطائف .

قال المؤلف رحمه الله :
 يدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن ، مسايراً إلى ربك
 بين الخوف والرجاء ، فافرحا للمسلم كالجناحين للطائر .

يتناول هذا المؤلف إلى منزلة عظمه و مقام رفيع ألا وهو مقام المراقبة لله
 الله تعالى ومعناه أنه يستحضر أن الله معك يسمعك فلا تله
 ويرى أحوالك فهذا يستلزم ملازمة الطاعة وقبحا في المعصية وهذا المقام
 هو مقام الإحسان الذي جاء في حديثه جبريل لما سأل النبي الأمين عن الإسلام
 والإيمان والإحسان فقال عن الإحسان به أن تعبد الله كأنك تراه
 فإنه لم تكن تراه فإنه يراك .

وأنت في سيرك إلى الله تسير بين الخوف والرجاء وهما كالجناحين
 للطائر فالرجاء يحدوا بك والخوف يسوقك تعمل جاهداً
 رجاء رضا الله وفضله وقوائيه العظمى وفي نفس الوقت خائفٌ ورهيبٌ
 من عذابه وشدة عقابه ، بنأعباً في أني أنا الفقور الرحيم
 وأن عذابي هو العذاب الأليم .

قال رحمه الله : فأقبل على الله بقلبك ، وليمتلئ قلبك بحب
 ولسانك بذكره ، والامستبشار والفرح والسرور بأحكامه
 وحكمه سبحانه //

و يا لها من نصيحة فطين أريب فالإقبال على الله بالكلية هو سبيل
 النجاح والوصول إليه وظالما ندنا على هذه العبارة ابن القيم
 رحمه الله في مدارج السالكين وغيره من كتبه رحمه الله وكان يقول
 : إن في القلب شعث لا يزول إلا بالإقبال على الله وجمع قلبك
 عليه بالكلية . فأودأ جمعت قلبك على الله فلك كل شيء
 وليمتلئ قلبك بحبته فالطوبى لمن تقوى العيوب على سائر
 الطوبى والطوبى لمن كل شيء لرضا محبوبه ،
 ومنه ملائ قلبه بحبته ربه لا شك أنه يكثر من ذكره ، واستلزم
 ذلك الرضا والاستبشار والفرح بأحكامه فكلها عدل فيرى المحب

رباً حكماً يضع الأمور في نصابه عاولة في حكمه وشرائطه لا تدرك
الغنى البعيد الذي يستند على أنظمة وأقداره.

لا قال رحمه الله

خفيض الجناح ونبذ الحيلاء والكبرياء :
تَحَلَّ بِآدَابِ النَّفْسِ مِنَ الْعَفَافِ ، وَالْحِلْمِ ، وَالصَّبْرِ ، وَالتَّوَاضُّعِ لِلْحَقِّ
وَسَكُونِ الطَّائِرِ ، مِنَ الْوَقَارِ ، وَالرِّزَانَةِ ، وَخَفَضِ الْجَنَاحِ بِمَحْتَلٍّ
ذُلِّ التَّعَلُّمِ لِعِزَّةِ الْعِلْمِ ، ذُلِّلاً لِلْحَقِّ .

بعد أن أرشدك يا طالب العلم إلى النفسية ودوام مراقبته لا بد أن تتوجه
إلى نفسك فزكها بالتمسك بالأخلاق المحسنة والتخلي عن رذائل النفس
وأمرها فقال تحلَّ بِآدَابِ النَّفْسِ مِنْهَا الْعَفَافُ فَلَا صَدَقَ عَلَيْكَ إِلَى
مَا فِي أَمْرِ النَّاسِ وَلَا طَالِبًا مَا عِنْدَهُمْ وَعِنْدَكَ مَا يَشُغْلُكَ ، وَيَسْغُرُ عَلَيْهِ
أَنْ تَكُونَ حَلِيمًا لَا يَمَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَأَنْ يَكُونَ
صَبُورًا عَلَى أَذَى النَّاسِ تَكُنْ صَبُورًا عَلَى الْعَامَةِ عَلَى رُصْلِكَ عَلَى مَعْلَمِكَ .
تَكُنْ مُتَوَاضِعًا لِلْحَقِّ قَائِدًا بِأَنَّ لَكَ الْحُكْمَ قِيلَتَهُ وَلَمْ يَبْغِ سِوَاهُ بَدِيلًا
وَلَيْكِهِ عِنْدَكَ مِثْلُ سَكُونِ الطَّائِرِ مِنَ الْوَقَارِ ، وَالْمُتَكَلِّمَةِ فِي التَّائِي فِي الْحَرَكَاتِ
وَالْجَنَابِ الْعَشِيِّ ، رَأْيَا الْوَقَارِ فَيَكُونُ فِي الرِّيشَةِ كَفَقْرِ الْبَصَرِ ، وَخَفَضِ الْأَصْوَاتِ
وَعَدَمِ الْإِلْفَاتِ وَالرِّزَانَةِ مَعْنَاهُ ظُهُورُ الْوَقَارِ عَلَيْكَ ، خَافَضِ الْجَنَاحَ لِلْمَوْضِعِ
مَحْتَلًّا ذُلِّ التَّعَلُّمِ لِعِزَّةِ الْعِلْمِ ، ذُلِّلاً لِلْحَقِّ لِيَدْرَكَ التَّجَمُّلُ فِي الطَّالِبِ
وَقَالُوا ذُلًّا طَالِبًا تَعَزُّ مَطْلُوبًا

قال رحمه الله : وعليه فاحذر توافق هذه الآداب مع الحقوله مبلغاً

أي احذر من هذه الصفات الأربعة السيئة فإنك إذا وقعت فيها
وقعت في الإثم وتدل على نقص عقلك وعدم كمال أهليتك فتُحَرَّمُ بِرَأْسِكَ
من العلم تصميلاً وفقهاً وبركةً وإعلاءً بالله

وأيامك والخيلاء هم إيجابٌ بالنفس فتكبر على الآخرين ويلهم أثر الخلاء
على أعضاء البدن وهذا فيه طعن في التواضع وتركبة النفس وهو نقاق
لأنه يظهر الناصح المربح المتواضع وهو قد أعجب بنفسه
وتكبر على من حوله .

١١ قال رحمه الله تعالى وقد بلغ من مؤثدة الوثقى منه عند السلف مبلغاً
 وهو دقيق ما أسنده الذهب إلى قوله رحمه الله تعالى ٢
 ذكر لنا المؤلف قصة تدل على ثبوت السلف من الخلاء والكبرياء
 فنهضوا من الأسوة العنصرية كأنه يخاف على نفسه أنه يقتال في
 شتيته ويقع فيما يجره من بينه وإخلاصه فكان نصيبه بيمينه على
 شماله فلما سُئل فأجاب: مخافة أن تناحق يدي فاشتبه وفقدت
 الله فكدت على حذر من الكبر والخلاء سواء قولك أو فعلك
 فانه الله مطلع عليك عليم بأسرارك

١٢ قال رحمه الله والحدود الجبارة الكبراء إلى قوله عليه الناس
 يحذر رحمه الله من نواقض الأديب من الكبر والحرص والجد فنهض
 الثلاثة أول ما عصى الله به فابليس تكبر فكفر وأدم حرصاً فأخوى
 من الجنة وأبى آدم حسداً أحدهما أخاه فقتله وهذه أوطأت النقص
 وظهرها يرجع إليها ومن صور الكبرياء أن تطاول على معلمك
 بأنه قظر ما عندك لتستعلى عليه وألا تأخذ العلم من هو دونك سواء
 في العلم أو في العلم فهو كبر وقصر عن العمل تكبر وقعا فلما هذه
 بحر ملك مركة العلم
 ولا ينال العلم متكبر بل ينبغي أنه يكون متواضعا فهو رضى لك مزيماً
 على نفسه وها ضماً لها فلا رماً لها بال التواضع للامحسنت منها
 بنسوز وترفع وكبرياء فانه الواحد إذا تعلم أدنال منزلة أو مكانة
 دعت نفسه إلى ذلك فليكن لها بالمرصاد فانه كنت على الجادة
 رطخت الله وأحبت الناس

من أدت بامسكته فالله هو الذي علمك وهو الذي فحلك
 وهو الذي جلب القلوب إليك وهو الذي ستر لك أملك الناس
 فعلى أي شيء تترفع فالأموال من ملك وأما هو من الله

١٣ قال المؤلف رحمه الله وعن عبد الله بن قنبر قوله وهو ضربه أنه
 نقل لنا رحمه الله أخته جلية من تواضع السلف وهوهم لا تقسم
 يكون واقفاً برفقة فيقول عنه فقسم الولد إلى فيهم لقلت قد غفر لهم

هكذا والله يكون هضم النفس كما قال النجاشي رحمه الله فليكن هذا يدرك
 وهذه نسيته تلك وحديثك مع نفسك إذا رأيت من هو أكبر منك فقل
 مسبقتي إلى الحائز ، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل مسبقتي إلى
 الينا .

أولاً رأيت الفقير قلت : خفف حسابه
 أولاً رأيت الغني قلت : كثرت صدقاته
 هكذا دائماً وأنت أعلم الناس بعبوديتك فالزمها باب التواضع .